**المحاضرة الثالثة عشر : أعلام الأدب الصوفي**

**تمهيد :**

يزخر تاريخ الأدب الصوفي بشيوخ كانت لهم إسهامات في إثراء الأدب الصوفي ، ومؤلفاتهم دليل على غزارة أعمالهم الأدبية التي خلّدها التاريخ على مرّ العصور .

**1- الحلاج :**

هو أبو المغيث بن منصور الحلاّج (244ه- 309ه) من بيضاء فارس ، نشأ بِوَاسِطِ في العراق ، دخل الحلاج إلى السجن وجلد جلدا شديدا ثم صلب حيا حتى مات ، وبينما كان مشدودا على الصليب الخشبي نظر إلى السماء مناجيا ربّه قائلا :

**هؤلاء عبادك**

**قد اجتمعوا لقتلي تعصبا لدينك**

**وتقربا إليك**

**فاغفر لهم**

**فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي**

**لما فعلوا**

**ولو سترت عني ما سترت عنهم**

**لما لقيت ما لقيت**

**فلك التقدير فيما تفعل**

**ولك التقدير فيما تريد**

**2- ابن عربي :**

هو ولد في الأندلس مدينة مُرسية بلاد الأندلس على ضفاف البحر الأبيض المتوسط ، ليلة الإثنين 17 رمضان 560خ الموافق لــــ 1165م ، توفي في دمشق الجمعة 28 ربيع الثاني 630ه ، ودفن بسفح قاسيون يقول في مقام معرفة الصدق وأسراره :

**الصدق سيف الله في أرضه فاصدق ترى الصادق من عرضه**

**فإن أتى الدجال فاضرب به هامته بالحد من عرضه**

**فالسيف محصور بحدّيه في نفل من الفعل وفي فرضه**

ينسب إلى ابن عربي عددا ضخما من المؤلفات تتراوح بين المقالات القصار والرسائل التي لا تتجاوز بضع صفحات وبين المصنفات الضخمة المؤلفة من آلاف الصفحات ومن بين مؤلفاته الفتوحات المكية وفصوص الحكم

**3- ابن الفارض :**

هو عمر بن الحسين بن علي المرشد ، شرف الدين أبو حفص الحموي ، ولد بالقاهرة يوم 4 ذي القعدة 576ه الموافق لـــ 1118م ، شغل ابن الفارض بالشعر نحو أربعين سنة وذلك أمد طويل ، ولكن قيمة شعره بقيمة معانيه وليس بقيمة ألفاظه ، فهو من حيث الديباجة والسبك شاعر ضعيف ولكنّه من حيث المعاني فحل من الفحول لأنه استطاع الجمع بين الحقيقة والخيال ، فالحقيقة عند هذا الشاعر هي الصورة الروحية ، وأما الخيال فهو الصورة الحسية التي رمز بها إلى المعنويات ، له ديوان صغير الحجم عظيم المحتوى ، كلّه في الغزل ، وأشهر ما في الديوان التائية الكبرى وله قصيدة خمرية رائعة ترمز إلى المحبة الإلهية بوصفها أزلية قديمة يقول :

**شربنا على ذكر الحبيب مُدامة**

**سَكِرناها من قبل أن يُخْلَقَ الكرم**

**لها البدر كأس ، وهي شمس يديرها**

**هلال ، وكم يبدو إذا مزجت نجم**

4**- أبو مدين التلمساني:**

ينحدر الشيخ أبو مدين من مدينة إشبيلية بالأندلس عاش حياة بسيطة في صباه ، لكنه عاش جل حياته ببجاية الجزائر ، وقد حرمه إخوته من التعليم صغيرا ، وسخروه لرعي المواشي ، فتألّم من وضعه وقرر مغادرة الأندلس كلية والاتجاه المغرب ليحصل هناك على ما حرم منه بمسقط رأسه ، وبفاس تقلب في مجالس العلماء دون أن يستوعب حتى وجد ضالته في مجلس العالم الزاهد أبو الحسن علي بن حرزهم ، فقال عنه : كلما تكلم بكلام ثبت بقلبي وحفظته ، وبعد عودته من المشرق استقر ببجاية وذاع أمره وكثر الطلاب الزوار والوافدون طلبا للعلم ، فحقد عليه بعض علماء الظاهر ومنهم الشيخ أبو عمر الحباك الذي وشى به إلى السلطان يعقوب المنصور الموحدي ، فقرر السلطان أن يحقق معه بصفة شخصية فبعث إلى أمير بجاية وطلب منه أن يشخصه إليه معززا مكرما ، وعندما علم أصحابه وتلاميذه بالخبر شق عليهم فراقه ، وتخوفوا من سوء مصيره ، فطمأنهم أبو مدين وقال لهم : إن منيتي قريبة ، ولغير هذا المكان قدرت ، فبعث الله من يحملني إليه برفق وأنا لا أرى السلطان ولا يراني.

فطابت نفوسهم وذهب عنهم الخوف وارتحلوا به إلى أن وصلوا إلى ضواحي العباد بتلمسان فقال لهم ما أصلحه للرقاد ، ولما وصلوا إلى وادي يسر اشتد عليه المرض فأنزلوه عن دابته وتوفي سنة 594ه الموافق لـــــ 1197م يقول في قصيدة فقري المواهب :

**تذللت في البلدان حين سبيتَني وبت بأوجاع الهوى أتقلب**

**فلو كان لي قلبان عشت بواحد وأترُكُ قلبا في هواك يعذَّب**

**ولكنّ َ لي قلبا تملكّه الهوى فلا العيش يهنى لي ولا الموت أقرب**

تحمل هذه الأبيات الآلام الجسام في سبيل التعلق بالحضرة الإلهية ، فمن فرط أبي مدين بالخالق تاه في البلدان.

**5- الأمير عبد القادر :**

ارتبطت التجربة الصوفية عند الأمير عبد القادر بظروف فكرية وسياسية ، حيث خصائص تختلف عن التجربة الفلسفية ولكنها تحمل رهانات فلسفية، ما يمكننا من التطلع عليها ومقاربتها من خلال ما يصدر عن المتصوفة. فالتجربة الخاصة بالصوفي تتميز كمنهج أو كنمط معرفة للوصول إلى حالة مغايرة أسمى، وقد أشار كتاب الرهانات الفلسفية للتصوف إلى مدى المزج بين التصوف في تقليده المرتبط بالقرون الوسطى والعمل الشعري والرومانسية الألمانية

قد بدت عليه إرهاصات التصوف منذ الصغر يقول عن مرحلة صباه : " كنُتُ مغرما بمطالعة كتب القوم- رضي الله عنهم –(يقصد الصوفية )منذ الصبا، غير سالك طريقهم، فكنت أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم يقف شعري وتنقبض نفسي منها، مع إيماني بكلامهم على مرادهم لأني على يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة..." وسوف تبرز مرحلة النضج في المجال الصوفي أثناء منفاه وسجنه في فرنسا، ثم تنمو وتتطور عندما يستقر في الشام بدمشق.

أما كتابه "المواقف" فقد مهّد لمحتوياته العقدية والصوفية في الموقف 231 حيث قال : "كل ما تقوله الطائفة العلية-رضي الله عنها-(يقصد الصوفية) له دليل من الكتاب والسنة عرفه من عرفه وجهله من جهله، لأن طريقتهم مؤسسة على الكتاب والسنة، غير أن من علومهم أمورا وجانيات لا يمكن أن يقام عليها دليل ولا تحد بحد.

نظرا لعمق أفكاره الصوفية وتنوعها يرجّح الدارسون أنها آخر ما كتب الشاعر في سنواته الأخيرة التي قضاها بدمشق ، فقصر قلمه على الجانب الديني السني الصوفي ، وعلى تأكيد نزعة الوحدة الإسلامية يقول وهو على استعداد لمفارقة طيبة :

**تذكرت وشك البين قبل حلوله فجادت عيوني بالدموع على الخد**

**إلى الله أشكو ما ألاقي من النوى وحملي ثقيل لا تقوم به الأيدي**

**بطيبة طاب العيش ثم تمررت حلاوته فالنحس أربى على السعد**